

الجنس عند الإنسان هبة إلهية تمس صميم الكيان الإنساني على كافة مستويات حياته، فهو لا يمس جانباً واحداً من حياتنا، بل يمتد ويتداخل في طبيعتنا الإنسانية، ليضع بصماته على وجود الفرد وشخصيته، ويؤثر على حياتنا النفسية والإنفعالية، وعلاقاتنا الاجتماعية بالآخرين، كما يمس حياتنا الروحية وعلاقتنا بالله، فهو - إذن - طاقة شمولية. يمكن أن نرى - إذن - أن الجنس عند الإنسان، له ثلاثة عناصر (أبعاد) رئيسية:

1- العنصر الشخصي Personal :

وفيه نجد التفاعل الشخصي بين الجنسين، الناتج عن القبول

المتبادل والإقتناع العقلي، تفاعل يعبر عن ذاته مستخدماً الإمكانيات العاطفية (المشاعر) الإنسانية، ويساهم في نمو الحب بينهما، الذي يفتح بدوره

المجال للإتحاد الزوجي.. ولما ينحصر البعد الشخصي للجنس في مجرد العلاقة بين الجنسين، بل يتجاوزها كي يغذى الجوانب الاجتماعية والروحية عند الإنسان.

2- العنصر المحسى Sensual :

ويقصد به الإحساس باللذة في العلاقة الزوجية، ولو أن اللذة الحسية ليست هدفاً بحد ذاتها، إنما هي إحساس فسيولوجي عصبى نفسى ملازم للتواجد والتقارب بين الزوجين من خلال حياتهما المشتركة.

3- العنصر التناسلي Procreational :

ويقصد به إنجاب النسل حفاظاً على النوع، ولو أن النسل ليس هو الهدف الأوحد للزواج، فالزواج يهدف - كما أراده الله - إلى تحقيق المتكامل والإتحاد بين الزوجين، ويهدف إلى التعاون والمشاركة بينهما في مواجهة الحياة، ويأتى النسل ثمرة للحياة الزوجية، معبراً عن البعد الشخصي للجنس في حياة الزوجين.

هذه العناصر الأساسية الثلاثة للجنس أراد الله منذ البدء أن توجد معاً جنباً إلى جنب في توازن، دون أن يطغى عنصر على آخر، حتى تحقق العلاقة بين الزوجين هدفها الأصيل.

شواهد كتابية :

كتابياً نجد هذه العناصر الثلاث واضحة عبر أسفار العهدين..

□ "وقال الرب ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره" (تك 2:18).. هنا نجد العنصر الشخصي الذي يحمل معنى التعاون والمشاركة والتفاهم، والتناظر، أى التساوى فى القيمة الإنسانية.

□ "وبنى الإله المذبح الذى أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم" □ (تك 2:22).. هنا نجد فكرة التعارف الشخصى بينهما، حيث يعرف الله حواء بآدم، كى يبدأ معاً حياتهما المشتركة.

خصائص الإنسان قبل السقوط

طبيعة حياتهما

هدف زواجهما

□

□

^ المحب والإتحاد بالله.

^ الحب والالتحاد معاً.

^ المتناظر (التساوي).

^ شركة "نحن".

^ ميل جنسى نقى.

^ المتكامل الإنسانى فى "الجسد الواحد".

^ المتعاون والمشاركة.

^ الإيجاب.

خصائص الإنسان بعد السقوط:

طبيعة حياتهما:

هدف الزواج فى العهد القديم:

□

□

^ حب الذات والاندصال عن الله.

^ "أنا" تصارع "أنا".

^ ضياع الحب والاندحاد.

^ ضياع المتناظر "التساوي".

^ ضياع شركة "نحن".

^ الشهوة الجنسية.

^ الانجاب.

^ الاستمتاع.

^ التعاون والمشاركة.

^ الحفظ من الخطيئة.

لكي نفهم خصائص الجنسية كما أرادها الله منذ المبدء ينبغي أولاً أن نفهم خصائص الإنسان ذاته في وضعه الأصيل كما أوجده الله.

أ- تكامل فردى رائع :

كانت حياة آدم وحواء قبل السقوط حياة ذات وضع فريد نقي، بسبب كون كل منهما مرتبطاً بالله... فالعقل منشغل بالله، والعاطفة تتحرك بالحب نحوه، والإرادة تطيع صوته وإرشاده، والجسد يتحرك سالماً في وصاياه.. لذلك كان الفرد كله (عقلاً وعاطفة وإرادة وجسداً) متكاملًا يحيا في مجال الله، بلا صراع داخلي بين عقله وحوافه وإرادته وجسده، بل يسلك مع الله بكيان متكامل غير منقسم.

ب- تكامل إنساني رائع :

قبل السقوط، كان الفرد الإنساني آدم، والفرد الإنساني حواء متحدين معاً في كيان إنساني متكامل وفريد، يطلق عليه الكتاب المقدس تعبير "جسد واحد" (تك 2:24)، وكان هذا الإتحاد نموذجاً إلهياً رسمه الرب الإله، ورآه حسناً جداً إذ كان يعكس سر المحب والوحدة الكائنين في الحياة الإلهية، ويكشف عنهما منطبعين في عمق الحياة الإنسانية.

ج- علاقة الإنسان مع الله قبل السقوط :

لقد كان وجودهما في حضن الله هو السبب المباشر لإتحادهما معاً،

وهو سبب حالة النقاوة والقداسة التي كانا يسلكان بها.. كذلك كان

إتجاههما المستمر نحو الله بالحب هو سر حبهما الواحد للآخر.. لم تكن الجنسية فقط في حالة نقاء، بل كيان الإنسان كله، فالعقل يندهل أمام أسرار الله في الكون محاولاً بالتضاع أن يدرك ولو القليل منها، والعاطفة تتجه من "الأنا" إلى "الله" إلى "الأخر" في حركة حب متدفق ومستمر، والإرادة تتطلع إلى الله تسعى نحوه شخصياً طالبة إرضاءه أما الجسد فكان يسلك في نقاوة يكشف عن كل جوانب القداسة في حياة الإنسان الحامل داخله صورة الله التي لا تفنى.

خصائص الجنسية قبل السقوط :

على أساس هذا النموذج المنقى الذى صنعه الله ورآه حسناً جداً [نموذج الإنسان المتكامل]، نتوقع أن تتجلى فى علاقة آدم وحواء الخصائص التالية:

أ- نوعية العلاقة بين الرجل والمرأة :

1- التناظر :

أى التساوى (التكافؤ) equality، مع المشابهة likeness [والمندبة peers being].. فالله خلقهما متساويين فى القيمة الإنسانية رغم اختلافهما فى الخصائص الطبيعية المميزة لكل منهما، ونلمح هذا واضحاً فى قول الرب "أصنع له معيناً نظيره" (تك 2:18). [يلاحظ أن التناظر بين الزوجين يؤدي إلى التفاهم المشترك، والتعامل بينهما بلا تسلط.

2- التكامل :

وهى أن يكمل كل منهما الآخر، وهذا يتحقق بسبب الاختلاف الطبيعى فى الصفات بين الرجل والمرأة، فمن خلال التعامل بينهما ينتفع كل منهما بصفات الآخر، وكأن صفات الواحد تضاف إلى الآخر.. ويأتى التعاون والمشاركة علامة على حالة التكامل بينهما ولذلك خلق الله حواء لتكون "معيناً" يتعاون مع آدم ويشاركه حياته، ويتقاسم معه مسؤولياته.

إن التكامل يساهم - فى الواقع - فى تحقيق التوازن النفسى والاستقرار الداخلى.

3- الحب الحقيقى :

وهو قدرة النفس على الخروج عن "الأنا" إلى "الآخر" وتجاوز حدود عالمها الخاص، كى تشارك الآخرين فى عالمهم فتدخل إليهم السعادة.. ولم يكن الحب المضحى المبادل بين آدم وحواء قبل السقوط، إنما انعكاساً مباشراً لحب الله المنسكب بفيض على كل منهما.. وكأن الحب يتحرك فى دورة

لنا تنقطع من الله إلى كل من آدم وحواء، ومن آدم إلى الله مروراً بحواء، ومن حواء إلى الله مروراً بآدم.. فالله - إذن - كان هو محبوبهما معاً وشريكهما، وأملهما فى الحياة وهدف وجودهما الحقيقى. وهذا الحب الحقيقى انعكس على علاقتهما ولذلك قال آدم عن حواء "هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى" (تك 2:23).

ب- الميل الجنسي النقي :

منذ البدء أوجد الله في صميم تكوين نفس الرجل ميلاً طبيعياً للمرأة وفي صميم تكوين نفس المرأة ميلاً طبيعياً للرجل، وبهذا الميل المتبادل يتألفان ويتكاملان، أى أن هذا الميل الجنسي يخدم نمو الحب، ويساهم في تحقيق التكامل بينهما.

كان الميل الجنسي ميلاً طاهراً نقياً، شأنه في ذلك شأن باقى ميول الإنسان الأخرى قبل السقوط.. ونلاحظ هذا الميل واضحاً منذ اللحظة الأولى التي أفاق فيها آدم من سباته، فوجد الله يقدم له حواء لتكون معيناً نظيره، فقال: "هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي" (تك 2:23).. هنا نلاحظ شعور آدم نحو حواء بإعتبارها شخصاً مأخوذاً من داخله، وترابطهما رابطة خاصة ومنذ أن كانت حواء داخل آدم، رابطة تجذبهما الواحد إلى الآخر، هي ما يسمى "الميل الجنسي"، ويقوّة هذا الميل تعود حواء مرة أخرى إلى آدم، ولكن لن تكون عودتها هذه المرة إلى أعلى مستوى داخلي، وهو ما يسمى "الإتحاد الزيجي" الذي عبر عنه سفر التكوين بلفظ "الجسد الواحد" (تك 2:24).

□ كان الميل الجنسي - إذن - يهدف إلى تحقيق الوحدة الداخلية بين الرجل والمرأة، كي يصيراً معاً "كياناً بشرياً متكاملًا".

1- رؤية علمية للأعضاء الجنسية :

أ- ما أهمية الأعضاء الجنسية ؟

والسؤال بعبارة أخرى: ماذا لو تم استئصال الأعضاء الجنسية؟ هل يؤثر ذلك على حياة الفرد؟

إن تأثير الأعضاء الجنسية على حياة الفرد يختلف كثيراً عن تأثير الأعضاء الأخرى على نفس الفرد.. هناك أعضاء هامة لحياة الإنسان مات منها أى استئصال تم إذا والكبد والكليتان والمخ والقلب، الموت إلى يؤدي مما وظائفه أداء عن الجسد يتوقف وبدونها: Vital Organs الجسد، لأن كلا منهم يؤدي وظيفة حيوية أساسية لحياة الكائن Function Biological Unique .

أما الأعضاء الجنسية فهي لا تنحصر في الوظيفة البيولوجية، فالهرمونات التي تفرزها وتؤدي وظائف أخرى متعددة تساهم في تكوين الشخصية والابتزان النفسى، والنمو العقلى والنمو العاطفى والاجتماعى.

كل أعضاء الجسم محددة في وظيفتها البيولوجية، أما الأعضاء الجنسية فإن دورها البيولوجي (التناسل) هو أحد وظائفها في حياة الفرد، وذلك لأن لها القدرة على التأثير في كل نواحي الحياة النفسية والعقلية والاجتماعية للفرد.

الأعضاء الجنسية - سواء في الرجل أو المرأة - تفرز الهرمونات الجنسية، وهي مواد كيميائية تخرج من الخصيتين والمبيضين إلى الدم مباشرة، وتنتشر لتؤدي دورها وتنشر تأثيرها لتؤثر على خلايا الجسم المختلفة.. فهي تؤثر على الجلد والعظام والأعصاب والأوعية الدموية والعظام والمفاصل والقلب والحنجرة (الصوت) والشعر.. كما أن للهرمونات الجنسية تأثير فعالاً على النواحي النفسية والعقلية والاندفاعية للفرد من خلال تأثيرها على مراكز عصبية متعددة في المخ البشري.

إن المخ يحتوي على مراكز عصبية تتأثر بالإنفعالات النفس تسمى "هيبوثالمس" Hypothalamus، وهو جهاز حساس في المخ يترجم انفعالات النفس إلى مظاهر عضوية جسمانية، أو يعبر عن حركات النفس في هيئة تظهر على أعضاء الجسم.. فإذا شعرت النفس بالخجل، أرسل "الهيبوثالمس" إشارات عصبية تؤدي إلى توسيع الأوعية الدموية بالوجه مما يؤدي إلى إحمراؤه.. وإذا شعرت بالخوف زادت الإشارات العصبية مما يؤدي إلى رعشة العضلات وسرعة ضربات القلب.. كذلك إذا شعر الزوجان برغبة الإتحاد معاً، فإن الانفصال العاطفي يؤثر على "الهيبوثالمس" فتُرسل إشارات عصبية خاصة إلى الأعضاء الجنسية كي تؤدي دورها في العلاقة الزوجية.

إن الهرمونات الجنسية تؤثر على مراكز الانفعالات في المخ "الهيبوثالمس"، كما تؤثر أيضاً على مركز الشخصية في المخ.. وهكذا يمتد تأثير الهرمونات الجنسية إلى كل من الجسد والنفس، أي أنها تؤثر على كيان الإنسان كله.

نعود للسؤال: ما نتائج استئصال الأعضاء الجنسية؟

هذا يعتمد - في الواقع - على الوقت الذي استؤصلت فيه الأعضاء الجنسية، هل قبل البلوغ أم بعده؟..

إذا حدث ذلك قبل البلوغ، فإن "الخصائص الجنسية الثانوية" لن تظهر، فلا ينمو شعر الذقن والشارب عند الولد، ولما يصبح صوته رجولياً، ويصبح أقصر قامته من زملائه.. كذلك لن ينمو صدر الفتاة، ولن تبدأ عندها الدورة الشهرية.. أي أن العلامات الخارجية للبلوغ سوف لا تظهر.. من الناحية الأخرى لن يصبح الفرد قادراً فيما بعد على الإنجاب (العقم)، ولن يصبح قادراً على أداء العلاقة الزوجية (العجز الجنسي).

إن استئصال الأعضاء الجنسية عند الأطفال أو إصابتها في حادثة أو بمرض، لا يؤدي فقط إلى توقف الوظائف الجنسية، بل يؤدي أيضاً إلى ضعف الوظائف الجنسية النفسية.. فالإنسان ينتقل من الطفولة إلى البلوغ مروراً بمرحلة المراهقة حيث تحدث فيه عمليات النمو الحيوي: نمو الجسم ونمو الشخصية (النمو العقلي والعاطفي والجنسي... الخ) وتساهم الهرمونات الجنسية في عملية النمو بالنصيب الأكبر، أي النمو الجنسي الجسماني sex Physical والنمو الجنسي النفسي sex Psychologic فالأول تقوم به الهرمونات وحدها، أما الأخير فتساهم التربية والجو الاجتماعي مع الهرمونات في تحقيقه.. لذلك فإن استئصال الأعضاء الجنسية قبل البلوغ يؤدي إلى ضعف الوظائف النفسية التي تحتاج إلى جنس كي تنضج، مثل القدرة على الخروج عن الذات والانفتاح على الآخرين (التفاعل الاجتماعي)،

ومثل الطموح واتساع الخيال، والإبداع الفكري والفضلي والمادبي.. وبذلك يصبح الإنسان أقل حيوية وأضعف إبداعاً.

أما إذا استؤصلت هذه الأعضاء بعد البلوغ، أي بعد إكمال

الجنس الجسماني والنفسي، فإن هذه الخصائص سوف يبقى بعضها، حيث يستمر نمو شعر الذقن والشارب عند الرجل، ويبقى صوته رجولياً، وذلك بفضل بعض الهرمونات الذكرية التي تنتجها الغدة الجار كلوية.. كذلك لن يختلف توزيع الشعر عند المرأة، ولن يتغير صوتها، ولما حجم الصدر.. لكن تتوقف الدورة الشهرية وتصبح المرأة عاقراً (العقم) كذلك تضعف قدره الرجل على أداء العلاقة الزوجية، كما يفقد القدرة على الإنجاب.. كذلك يؤدي غياب الهرمونات الجنسية إلى ظهور بعض أعراض الضعف الجسماني، وضعف النشاط الحيوية.. أما من الناحية النفسية فتبقى إمكانية التجاذب الجنسي، والاهتمام بالجنس الآخر.

إن دور الطاقة الجنسية - إذن - لا ينحصر في العلاقة الزوجية والنسل، بل يمتد إلى كل جوانب الحياة النفسية والشخصية والاجتماعية والروحية.

ب- لماذا نرى أعضاء الحياة قبيحة؟

إن كانت الأعضاء الجنسية بهذه الدرجة من الأهمية لحياة الإنسان، فلماذا يحتقرها الكثير ونذ؟ ولماذا يشوهون جمالها؟ ولماذا هي مرتبطة في عقولنا بالخطأ والمعيب والحرام والقذرة؟

الأعضاء الجنسية كما خلقها الله - أعضاء هامة وحيوية وهي نقية مقدسة شأنها شأن باقى أعضاء الجسد.. ولكننا - للأسف - نراها من خلال نافذة زجاجية قد اتسخ زجاجها بالبقع والأتربة والقذرة.. فإذ بنا نرى هذه الأعضاء بصورة مشوهة.. فالخطأ - إذن - يكمن في داخلنا نحن.. هناك صورة قاتمة تكونت داخلنا عن أشياء كثيرة تخص الجنس والزواج، ولذلك فنحن كثيراً ما نرى الجنس قاتماً وخاطئاً ومعيباً وقذراً!!!

ج- كيف تكونت فينا الصورة القاتمة للجنس :

1- أسلوب التربية : ربما لا نتذكر - ونحن بعد أطفال - كيف كنا ننظر إلى أعضائنا الجنسية قبل أن يتدخل الكبار ليعلمونا كيف ننظر إليها..

إن هناك ارتباطاً عصبياً بين الأعضاء الجنسية وأعضاء الإخراج (المثانة البولية والمستقيم)، لذلك يشعر الأطفال بالأعضاء الجنسية من خلال لذة الإخراج، وهذه حقيقة علمية.

إن هناك إحساساً باللذة والارتياح عندما يفرغ الفرد المثانة البولية الممتلئة بالبول أو يفرغ القولون من فضلات الطعام، كما أن الطفل يشعر ببعض اللذة عند التماس مع أعضائه الجنسية، فإذا قابل الكبار هذا التصرف بالعقاب أو المناهضات المبالغ فيه فإن ذلك يرسب في ذهن الطفل انطباعاً بأن الأعضاء الجنسية قبيحة أو قذرة.

وعندما يصعب على الطفل الصغير التحكم في عمليات الإخراج ويضطر أن يبلى ملابسه أو فراشه، فإنه قد يتعرض للعقاب، إلى أن يتمكن من التحكم التام، وكثيراً ما يؤدي العقاب إلى شعور الطفل بأن الإخراج عملية قبيحة وضيعة.. ولما كانت أعضاء الإخراج - سواء في الولد أو البنت - قريبة من الأعضاء الجنسية فإنه كثيراً ما يظن أن كل ما هو جنسي شئ ضيق أيضاً وقبيح، وقد يترسخ ذلك في الذهن إلى ما بعد البلوغ، فيشعر الشباب بعدم نقاوة الأمور الجنسية.

وهكذا نجد أن عدم الدراية بالتربية الجنسية السليمة منذ الطفولة، يؤدي إلى تكوين اتجاهات خاطئة عن الجنس عند الشباب.

2- نظرة المجتمع إلى الجنس والزواج :

حينما يتطلع الشباب أو الفتاة إلى المجتمع، وهو يعرض الأمور الجنسية بشكل مشوه، فإن صورة خاطئة تنطبع في الأذهان، فليس لدى الشباب مصدر أمين نقى للتثقيف الجنسي ولذلك هم بالضرورة يكونون انطباعاتهم عن الجنس من خلال وسائل سهلة الانتشار ونقصها وسائل الإعلام والمجلات والروايات... الخ.

فالأفلام السينمائية تصور العلاقة بين الرجل والمرأة، علاقة صراع، حيث يسعى المصائد (الرجل) نحو فريسته (المرأة) إلى أن تقع في شباكه فيمتلكها ويستمتع بها.. وتصور الأفلام أيضاً المرأة كجسد للإغراء، تحاول أن تسيطر على الرجل مستخدمة في ذلك ما لديها من إمكانيات جسمانية، بدلاً من أن ينجذب الرجل إلى شخصيتها الأصلية.

أما الروايات الرخيصة، فهي تعرض الأفكار المثيرة، وتغذي خيال الشباب بالأمور الحسية التي تلهب قلوبهم وتفسد مشاعرهم.

وأما المجلات الخليعة وأفلام الفيديو الرخيصة، فهي تعرض الجوانب المحسنة من الجنس، مستغلة حساسية الشباب، بهدف الربح والانتجار بعواطفهم الغالية.

أما النظرة السائدة في المجتمع عن الجنس والزواج، فهي سلبية حتى لو كانت مقدمة في قالب من التقاليد الإجتماعية المتعارف عليها.. فنجد المجتمع يمجّد تسلط الرجل على المرأة ويفضل إنجاب الأولاد على البنات وينظر للفتاة التي تأخرت في الزواج على أنها لم تحقق وجودها بإعتبار أن قيمة المرأة تأتي من انتمائها للزوج ولا تأتي من ذاتها وشخصيتها بحسب رأى إجتماعى مشهور!!

يضاف إلى ما سبق فكرة المجتمع حول العلاقة الزوجية، حيث يصورها الكثيرون كمعركة ينتصر فيها الرجل، مظهراً قوته وقدراته الجسمانية، مفتخراً بذلك أمام الأصدقاء!!!

كل هذه الإتجاهات التربوية والاجتماعية السائدة في المجتمع تؤثر بالضرورة على فكر الشباب عن الجنس والزواج والأعضاء الجنسية والعلاقة الزوجية.